

موقف جريدة العمل التونسية من الثورة الجزائرية

أ.د/ أحمد مسعود سيد علي

قسم التاريخ، جامعة المسيلة

الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائرية/ جريدة العمل التونسية/ الرأي العام/ الاستعمار الفرنسي/ جبهة التحرير الوطني/ الحكومة المؤقتة/ الحزب الدستوري الجديد/ العلاقات التونسية الفرنسية/ ساقية سيدي يوسف. ملخص الدراسة:

لعبت الصحافة العربية الحديثة دور رئيس في تشكيل الرأي العام العربي، وتوجيه اهتماماته نحو القضايا المصرية التي كانت تؤرق الأمة العربية والإسلامية زمن تنامي حركات التحرر العالمية في فترة الخمسينات من القرن 20م.

ولقد تزامن اندلاع الثورة الجزائرية في تلك الأثناء في نوفمبر 1954، التي لم تكن بمنأى عن هذا الاتجاه، حيث تفاعلت معها الصحافة العربية سواء على مستوى دول الجوار أو المشرق العربي، وساهمت مساهمة كبرى في جلب الدعم الرسمي والغير الرسمي للقضية الجزائرية، عبر الأدبيات والرسائل والتغطيات التي كانت تسجلها في ثانيا صفحتها، وفي هذا المجال كان دور جريدة العمل التونسية لسان حال الحزب الدستوري الجديد التونسي، وهي أول جريدة أصدرها الحزب الدستوري باللغة العربية.

صدرت جريدة العمل التونسية لسان حال الحزب الدستوري الجديد التونسي بتاريخ 01 جوان 1934، في شكل جريدة نصف أسبوعية ثم أسبوعية، كانت تتناول مواضيع سياسية بحتة، تتعلق بالشأن العام التونسي (ما يتعلق بوضع العمال والاتحاد الوطني للشغل، وقضايا الإقامة العامة وعلاقتها بالباي)، كما كانت تهتم بالشأن العربي إن على مستوى الشعوب المجاورة، أو بالمشرق العربي.

كيف تعاطت جريدة العمل التونسية لسان حال الحزب الدستوري الجديد التونسي مع قضية الثورة الجزائرية بدءاً من اندلاعها، إلى المسائل التي خلفتها مع لاجئين وتداعيات حرب الجزائر ذاتها بعد استقلال تونس في مارس 1956، استقلال كان قد الجم الحكومة التونسية الفتية التي بدأت تتجه نحو المنطق البرغماتي في إدارة شأنها الدبلوماسي خاصة مع الشعوب المجاورة، فضلاً عن تحدي علاقتها مع مخلفات الاستعمار، وهو ما فرضته

أوضاع الثورة الجزائرية في حد ذاتها بفعل تواجد وحدات جيش التحرير الوطني في أراضيها، إلى ملف المفاوضات وما خلفه من قضايا تعلقت بالحدود الجزائرية التونسية حاول الاستعمار الفرنسي توظيفها توظيفاً سافراً قصد تسميم العلاقات بين الجارتين قبل استرجاع الجزائر لسيادتها المغتصبة.

لقد تشكل الرأي العام التونسي منذ ثلاثينيات القرن الماضي، مع القضايا الوطنية والإقليمية التي صاغت نضاله ضد الاستعمار الغربي، سواء عبر العمل النقابي والحزبي أو من خلال الخطب، الرسائل والعرائض التي كان يقدمها في المؤتمرات التي كانت تعقدها الحركات النقابية والسياسية والجمعية. رأياً عبرت عنه الصحافة التونسية باللسانين العربي والفرنسي حينها، لكنه كان في بدايته الأولى يطغى عليه الطابع النقابي، بعد أن تلاش الاقتصاد التونسي التقليدي وتحلل أمام صعود الاقتصاد الكولونيالي، ومنه بدءاً نجم الصحف النقابية يستطع حامل معه آمال الطبقات السحيقة من المجتمع التونسي، وهومها السياسية، بل وتعداه إلى قضايا المغرب العربي برمته الذي كان يئن تحت رحمة الاستعمار الفرنسي. وفي هذا السياق كان اهتمام جريدة العمل التونسية لسان حال الحزب الدستوري الجديد بقضايا الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية لاحقاً.

وعليه فإن اهتمامات الصحافة التونسية بالشأن الجزائري جاء مبكر قبل اندلاع الثورة الجزائرية وبعد ها وخلاها، صحفاً غدت بشكل أو بآخر الناطقة باسم الثورة الجزائرية تسجل في أحداثها العسكرية والسياسية، وتشهر بسياسة القمع الاستعماري التي طالت الشعب الجزائري، لكن ظلت هذه المنابر تخضع لمشارب مختلفة كانت تنهل منها إيديولوجيتها. لأجل ذلك اختلفت درجة تفاعل هذه الصحف مع أحداث الثورة، باختلاف تلك المشارب السياسية والمصالح الضيقة لإيديولوجية الأحزاب المعبرة عنها، وجريدتي الصباح والعمل التونسيين وإن كانت الثانية لسان حال الحزب الدستوري الحر والأولى مقربة منه، إلا أن هذه الأخيرة كانت تعبر بشكل أكثر راديكالية من العمل عن مواقف حازمة ناصرت فيه الثورة الجزائرية، واعتقدت في ضرورة ربط كفاح الشعب التونسي قبل الاستقلال في مارس 1956، بـ استقلال الشعب الجزائري، بل ومنطقة المغرب العربي برمتها، فهي كانت تسير خط القائد صالح بن يوسف وانتهجت فيما بعد نهج اليوسيفية التي اختلفت عن البورقيبية في التعامل، مع الوضع الإقليمي للمنطقة وتسوية الملف التونسي مع الإقامة العامة الفرنسية.

1 - الثورة الجزائرية بين البورقيبية واليوسيفية:

إن التوجه المغاربي المشترك في تعميم الكفاح المسلح سرعان ما فتر إثر تصريح قرطاج ومباشرة الحزب الحر الدستوري لمفاوضاته مع فرنسا، وقد كانت العناصر المؤثرة في الحزب تحرص على أن يكون إطار العمل المسلح

محدود المجال والزمان، فهو مجرد عنصر ضغط على فرنسا لإلغاء نظام الحماية والجلوس إلى المفاوضات، لكن هذه السياسة ما كانت لتثمر في رأي الكثيرين لولا الانعكاسات التي أفرزتها الثورة الجزائرية، فقد أدى اندلاعها بعد أشهر من تصريح قرطاج إلى تسريع فرنسا لوتيرة التفاوض مع التونسيين، وسلمت في جوان 1955 بالاستقلال الذاتي لتونس، وعززت موقف بورقيبة في مواجهة الرافضين لهذا الاتفاق والداعين إلى مواصلة الكفاح ومساندة الجزائر⁽¹⁾.

وفي الوقت الذي كانت فيه الثورة الجزائرية تمد نفوذها إلى تونس وتتعاون مع أنصار صالح بن يوسف لتمير السلاح، وشن الهجمات المشتركة على القوات الفرنسية، كان الصراع السياسي على أشده بين بورقيبة وصالح بن يوسف، إذ كان كل منهما يحاول تأكيد اتجاهه ونفوذه، ولكن حدة الصراع خفت إثر إعلان فرنسا استقلال تونس في مارس 1956.⁽²⁾

والظاهر أن تطور موقف السلطات التونسية بقيادة لحبيب بورقيبة تجاه الدعم الفعلي للثورة الجزائرية والسماح بإقامة قواعد خلفية لجيش التحرير الوطني على الأراضي التونسية -على الرغم مما كان سيشكله هذا التوجه من مخاطر على تونس-، كان رهين باتساع حجم التضامن الشعبي وتمسك المعارضة التونسية بمواقفها الداعي إلى ضرورة دعم القضية الجزائرية.

لم يكن بوسع تونس عشية استقلالها أن تعلن دعمها للثورة الجزائرية، أو تبدي تأييدها لأهداف جبهة التحرير الوطني في كفاحها، خاصة وأن النفوذ العسكري والاقتصادي الفرنسي بقي سيد الموقف ولم يتحقق استقلال تونس التام، ولهذا قررت تونس مباشرة مفاوضات التعاون النهائية لتعزيز الاستقلال القطري، وقد قدمت دعمها لنشاط الثوار الجزائريين بصورة خفية من جهة، وسعت من خلال بذل الجهود السياسية لإيجاد حلول للقضية الجزائرية من جهة أخرى.⁽³⁾

إن هذا التوجه هو الذي تبنته جريدة العمل التونسية لسان حال الحزب الدستوري الجديد في تعاطيها مع قضايا الثورة الجزائرية، تعاطي كان حذر بحيث تراعى فيه هشاشة العلاقات التونسية الفرنسية الفتية، والتي كانت ترموا إلى تحقيق التنمية واستكمال تحقيق الاستقلال الكامل، وفي ذات الوقت الحفاظ على علاقات حسن الجوار والالتزام ما أمكن دون المساس بالمصالح التونسية بمبادئ النضال المغاربي، وبالتالي احتواء التيار اليوسفي المناهض لبورقيبة.

فحين كانت نظرة جبهة التحرير الوطني لاستقلال تونس كانت متباينة، إذ أن مسؤولي الوفد الخارجي وثار المناطق المتاخمة لتونس كانوا يفضلون استمرار تونس في الكفاح، ويرتاحون للتعامل مع أنصار ابن يوسف في تزويد الثورة بالسلح، حيث واصل عبد الحى الأوراسى ومحاسن التعاون مع المعارضة عبر الجنوب التونسى، أما مسؤولو الداخل فأدركوا انه لا مناص من التعاون مع الحكومة الجديدة التى أبدت رغبتها فى ذلك بفضل تضامن الشعب التونسى، وتقرر فى مؤتمر الصومام بعد دراسة الوضع بتونس الاعتماد على المسعى الحكومى وتنسيق العمل مع حكومة بورقيبة فى الميدان السياسى والتعبوى وخاصة إيجاد آلية محكمة لتمرير الأسلحة⁽⁴⁾

لقد تدعم نشاط جبهة التحرير الوطنى بتونس منذ شهر ماي 1956، وذلك بإنشاء النظام السياسى والعسكرى للثورة الجزائرية تحت مسؤولية عبد الحى الأوراسى وجماعة "الداخل"⁽⁵⁾، وبعدها بإشراف محساس⁽⁶⁾ حيث توطد النشاط السياسى والعسكرى بقاعدة تونس وأطرت الجالية الجزائرية، كما ازدادت قوة التأييد الشعبى التونسى مع القضية الجزائرية، وقدمت الحكومة التونسية تسهيلات معتبرة للثورة الجزائرية، وأصبح لهذه الأخيرة نفوذها الخاص فى تونس منذ سنة 1956.

كان موقف الحكومة التونسية التضامنى مع الجزائر، يعبر عن الرغبة فى احتضان الموقف الشعبى التونسى، وهو رهان مهم لتحقيق الانتصار السياسى على المعارضة اليوسفية، كما انه كان يهدف إلى كسب الجزائريين إلى جانبها وتنظيم نشاطهم بشكل يحقق الاستقرار والأمن فى تونس، ولهذا بادرت حكومة بورقيبة إلى كسب الجزائريين لصفها والحصول على اعتراف جبهة التحرير الوطنى بنظامها، وتحقيق الاستقرار والنظام فى تونس بشكل يؤهل بورقيبة لإقامة علاقات التعاون مع فرنسا،⁽⁷⁾ وفى إطارها يسهل معالجة مشاكل الشمال الإفريقى، غير أن المشكل الجزائرى وقف عائقا أمام سياسة التعاون التى أملت الحكومة التونسية إقامتها مع فرنسا، وتعرضت المفاوضات التونسية - الفرنسية حول اتفاقية التعاون إلى الانقطاع المستمر نتيجة تصلب الموقف الفرنسى وإصراره على بقاء القوات الفرنسية فى تونس وضرورة إيقاف مساعدة الثوار الجزائريين، والتزام موقف الحياد بخصوص المشكل الجزائرى.⁽⁸⁾

وعلى الرغم من التسهيلات المدعومة لنشاط جبهة التحرير الوطنى فى تونس، فإن الموقف السياسى للحكومة التونسية لم يرق إلى مستوى أهداف ومبادئ الثورة الجزائرية، وذلك نظرا لاختلاف التوجهات السياسية وتباين طبيعة القضية الجزائرية عن القضية التونسية، ويتجلى لنا أن تصور المشكل الجزائرى فى نظر بورقيبة ينم عن تجاهل حقيقة الثورة الجزائرية، إذ لم يكن بورقيبة يسلم بأن الجزائريين أدرى بخلافاتهم وأعرف بحلول قضيتهم.

وبالرغم من اعترافه أن المشكل التونسي يختلف عن المشكل الجزائري وتسليمه باختلاف الوضع الدستوري بينهما، فإنه كان يظن أن فرنسا كما تنازلت عن تونس والمغرب ستلجأ للتفاوض مع الجزائريين، وأن على هؤلاء ألا يعولوا على الحل العسكري فقط.

وعليهم أن يقبلوا بسياسة التفاوض مع فرنسا ولو أدى ذلك للقبول بمبدأ الحكم الذاتي⁽⁹⁾، ولم تكن مثل هذه الاقتراحات لترضي جبهة التحرير الوطني، كون طبيعة المشكل التونسي تختلف تماما عن مشكل الجزائر لأن فرنسا كانت مصممة على عدم الاعتراف بالهوية الجزائرية، فضلا عن حق الشعب الجزائري في الاستقلال، وقد أكد أحد مسؤولي جبهة التحرير الوطني في نهاية 1955 مشيرا إلى الاتفاق الفرنسي التونسي: "إننا نستنكر هذا الاتفاق ولو عرض علينا اتفاق مماثل في الجزائر فإننا نرفضه".⁽¹⁰⁾

لم يكن بإمكان الحكومة التونسية أن تعترف بسياسة جبهة التحرير الوطني ومبادئها الكفاحية منذ البداية، وهذا ما عبرت عنه جريدة العمل لسان حال الحزب والتزمت بخطاها، بل وحددت موقفها بالإعراب عن أملها في إيقاف الحرب وحل المشكلة بين الطرفين بالطرق السلمية، وهذا ما أكدته الرئيس بورقيبة يقوله: "إن تونس المستقلة تتألم من الحرب الفاشية المسلطة على الشعب الجزائري الشقيق وتصرح هذه الحكومة بأنها سوف تبذل كل ما في وسعها لتساعد على إيجاد الحلول السلمية التي تضمن للشعب الجزائري الشقيق حقوقه الوطنية ليسود الاطمئنان كامل أقطار شمال إفريقيا ويزول آخر عامل يكدر صفو العلاقات بين الشعبين التونسي والفرنسي".⁽¹⁰⁾

1- جريدة العمل: 1934/1988

التعريف بالجريدة:

جريدة العمل التونسية هي لسان حال الحزب الدستوري الجديد التونسي، وهي أول جريدة أصدرها الحزب الدستوري باللغة العربية، صدرت بتاريخ 01 جوان 1934، في شكل جريدة نصف أسبوعية ثم تحولت إلى أسبوعية، وقد كان تتناول مواضيع سياسية بحتة، قامت سلطات الاحتلال الفرنسي بمصادرتها العديد من المرات، بدءا من الفاتح من سبتمبر من نفس السنة التي صدرت فيها، أي بعد ثلاثة أشهر من تاريخ الظهور. ثم عاودت الصدور في الثامن من ماي 1937، بعد عودة القادة المنفيين من الجنوب التونسي، لكنها احتجبت عن الظهور اثر أحداث السابع والثامن من شهر أفريل 1938، (أحداث الإضرابات والحركات الاحتجاجية التي

كانت الاتحاد دعوا إليها)، ثم ظهرت تحت اسم جديد- إفريقيا الفتاة- ثم الحرية، وبشكل جريدة يومية، وبعد ذلك عادت للظهور تحت اسمها القديم أي العمل بداية من 1955/10/25، كما كانت توزع في حوالي عشرين ألف نسخة.⁽¹¹⁾

ظلت جريدة العمل تسيير في خط واحد تجاه الثورة التحريرية، تناصرها وتشهر بما يقوم به الاستعمار الفرنسي في الجزائر، ويتضح ذلك من خلال تخصيصها لركن خاص بالثورة التحريرية بداية من العاشر من فيفري 1957، أسمته صوت الجزائر يكتبه صحفي باسم مستعار- رايح هكذا ورد اسمه في الجريدة- ثم أخذت تخصص صفحات كاملة تتابع فيها أحداث وتطورات الجزائرية، كما خصصت أعدادا خاصة.⁽¹²⁾

-2- اهتماماتها بالثورة الجزائرية:

كانت جريدة العمل التونسية، لسان حال الحزب الدستوري الجديد التونسي تشكل خطه السياسي وتوجهاته الإيديولوجية، كما كانت تغطي نشاطاته وتبرز مدى اهتمامه بقضايا الثورة الجزائرية. إن المتتبع لأعداد جريدة العمل ومدى اهتمامها بشأن الثورة الجزائرية يمكنه التوقف عند أول حدث كبير سجلته الجريدة لسان حال الحزب الدستوري، مع أول اجتماع عقده المجلس المالي للحزب في 23 جوان 1956، حيث أصدر خلاله لائحة خاصة بالقضية الجزائرية، حيا فيها جهاد الشعب الجزائري في سبيل استرجاع سيادته المغتصبة، وأعرب عن إعجابه بالتضحيات التي يبذلها، كما أعرب عن أمله في أن تجنح فرنسا للسلم وتعتزف بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، وأن تتفاوض مع ممثليه الشرعيين.⁽¹³⁾

لم تكن الجريدة لتفوت فرصة الاهتمام بالشأن الجزائري إلا وسجلتها، ففي ذكرى احتلال الجزائر في الخامس من شهر جويلية سنة 1956، نوهت الجريدة بالبيان الذي أصدره الحزب الدستوري، والذي ندد فيه بالحرب الاستعمارية التي تشنها فرنسا ضد الجزائر الشقيقة، كما أشهر بحرب الإبادة التي كانت جحافل جيش الاحتلال تشنها ضد العزل والأبرياء في القرى والمداشر، حرب انجر عنها الكثير من الآلام، كما عبر عن تضامن الشعب التونسي بكامله مع الشعب الجزائري في محنته، واعتبر أن استمرار الحرب يشكل خطر على المنطقة برمتها، ودعا إلى ضرورة وقف الحرب والدخول في مفاوضات مع ممثلي الشعب الجزائري الشقيق.⁽¹⁴⁾

لقد أخذت بيانات الحزب الدستوري الجديد، المتعلقة بشأن الثورة الجزائرية كما نشرتها جريدة العمل، تأخذ منحى تصاعدي في التوجه ضد السياسة الفرنسية بكاملها، وتعتبرها سياسة عرجاء جعلت من فرنسا دولة غاشمة لا تحترم المواثيق الدولية.

كما انتهجت تلك البيانات نهجا مغاريا في تعاملها مع القضية الجزائرية حينما أكدت أن استمرار الحرب قد يشكل خطر على الاستقرار المنطقة برمتها.

كما استغل الحزب عرض القضية الجزائرية في الأمم المتحدة في مطلع سنة 1957، وأصدر بيانا أعلن فيه تأييده للقطر الشقيق، وتضامن الشعب التونسي مع محنة الجزائريين، وكفاحهم من أجل الكرامة والحرية والاستقلال، ونظم بمناسبة ذلك وقفة احتجاجية دعا فيه مناضليه للاحتجاج يوم 30 جانفي 1957.⁽¹⁵⁾

وفي خلال يومي 06/02 من شهر مارس سنة 1959، عقد الحزب الدستوري الحر مؤتمره السادس بسوسة، واستنكر في أثناء انعقاد أشغال المؤتمر حرب الإبادة التي كانت تشنها قوات الاحتلال الفرنسية ضد الشعب الجزائري، وتهدد مصير آلاف الجزائريين، خاصة بعد انطلاق العمليات العسكرية الكبرى التي كان يشنها الجنرال شال بداية من فيفري 1959، كما أهاب المؤتمر بالضمير العالمي وبجميع الأمم الحرة والمنظمات الدولية المؤمنة بحقوق الإنسان ومبادئ الحرية وحقوق الشعوب في الاستقلال وتقرير المصير، حتى تعمل بجهود متضافرة على إنهاء الحرب والاعتراف بحق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال.⁽¹⁶⁾

وعلى اثر إعلان وقف إطلاق النار أصدر الحزب الحر الدستوري الحر بيانا في 23 مارس 1962، أعرب عن ابتهاجه بالنصر الذي حققه الشعب الجزائري وحققته جبهة التحرير الوطني وللحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وترحم على أرواح الشهداء الذين سقطوا في ميدان الشرف، كما نوه بالتحديات التي كانت تنتظر في الدولة الجزائرية الفتية ودعاه إلى ضرورة العمل سويا لتعزيز أواصل الوحدة للنهوض من براثن التخلف الموروثة عن الاستعمار⁽¹⁷⁾.

لقد لعبت جريدة العمل دور رئيس في إبراز القضية الجزائرية واشادت بعدالتها وهو ما لا يمكن إنكاره لأي متتبع للشأن المغاربي حينها لكن بإجراء مقارنة بينها وبين جرائد أخرى كانت أكثر حزما وراديكالية في إبراز توجهات وخط الجريدة المناصر للثورة الجزائرية خاصة فيما تعلق بالبعد المغاربي في اهتمامها.

-3- البعد المغاربي في توجهات الجريدة:

بإجراء مقارنة بسيطة بين جريدتي الصباح والعمل التونسيين، كانت الأول تمثل التيار اليوسفي الذي كان يقوده صالح بن يوسف والثانية لسان حال الحزب الدستوري الحر، يتبين مدى البون الشاسع في المواقف بين الجريدتين، حيث إن جريدة الصباح كانت تساهم بشكل واسع في بلورة الوعي المغاربي بين شعبي تونس والجزائر، بل وكانت تغطي ما كان يدعو إليه الأمين العام للحزب الحر الدستوري صالح بن يوسف، صاحب فكرة مغربة النضال التحرري بالمنطقة لتخليص المنطقة من براثن الاستعمار في إطار الانتماء العربي الإسلامي⁽¹⁸⁾.

كما كانت تندد باستعمال الجنود التونسيين في حرب الجزائر، لاستعمالهم كدروع بشرية لقتال أشقائهم من الجزائريين، بل واعتبرت هؤلاء من المغرر بهم، خاصة بعد أحداث الشمال القسنطيني أي هجومات العشرين من أوت 1955، حيث شاركوا في القمع الذي تعرض إليه الجزائريون، (إشارة إلى فرق القومية من التونسيين والمغاربة)، وعبرت الجريدة عن أسفها العميق وألمها في أن يشارك أبناء الأمة الواحدة في قتال بني جلدتهم مناصرة للاستعمار⁽¹⁹⁾، وهو ما ملك تسجله جريدة العمل حينها.

كما احتجت الجريدة أي صباح عكس العمل التي لم تلق بال للحدث، حول إبعاد الصحفي الجزائري الحاج محمد الناصر مراسل جريدة الرأي المغربية، ومندوب إذاعة المغرب الذي استدعته مصلحة أعوان أمن الحدود وأبلغته بقرار الإبعاد إلى الأراضي الجزائرية⁽²⁰⁾.

وشهت بهذه الإجراءات التعسفية وسياسة الكيل بالمكيالين في حق اللاجئين الجزائريين بتونس من خلال القضاء حيث كانوا يخضعون لمحاكمات خاصة⁽²¹⁾.

لم ترقى جريدة العمل، وهي لسان حال الحزب الدستوري الحاكم إلى تسجيل المواقف التي كانت جريدة الصباح تسجلها، حيث كانت تركز على حملات التوعية التي كان يقودها صالح بن يوسف ضد اتفاقية الاستقلال الذاتي التي انتهجها بورقيبة مع الإقامة العامة الفرنسية، واعتبرها تخلياً صارخاً للفكر التحرري المغاربي، واعتبرها مؤامرة تخدم الدوائر الاستعمارية لتتفرغ فرنسا للجزائر وتركز قواها على أرض عقب بن نافع.

وللتبوع ما كانت تسجله الصباح عكس العمل، من مواقف كانت تخدم القضية الجزائرية في بعدها المغاربي، يمكننا الوقوف عند تاريخ شهر أكتوبر من سنة 1955، حيث أشرف صالح بن يوسف على اجتماع جماهيري بجامع الزيتونة ندد فيه باتفاقية الاستقلال الذاتي، واعتبره صفقة سياسية خاسرة كما أشاد بنضال

الجزائريين ضد الاحتلال الفرنسي ونوه بضرورة مؤازرة ثوار جيش التحرير الوطني. ومناصرتهم، لأنه من غير المنطقي أن يحقق شعب من شعوب منطقة المغرب العربي الكبير الاستقلال في الوقت الذي يظل فيه شقيقه يئن تحت نير الاستعمار، ذلك أن مستقبل المنطقة ومصيرها واحد.⁽²²⁾

لقد نوهت جريدة الصباح لقضية خطيرة أشار إليها صالح بن يوسف، وهي أن الاستقلال الذاتي الذي ستحصل عليه تونس، كان في الحقيقة على حساب الثورة الجزائرية، وعلى حساب سيادة تونس ذاتها التي انتقصت ولم تتحقق كاملة بقبول وفد الأمانة العامة للحزب الحر الدستوري بقيادة بورقيبة الدخول في مفاوضات، غير آبه بمواقف المكتب السياسي وبقية القوى الوطنية الأخرى والحركات التحررية المغاربية، لأجل ذلك أكدت الجريدة على البعد المغاربي في النضال من أجل تحقيق الاستقلال الكامل والذي لا يكون إلا باستقلال كافة شعوب المنطقة.

لقد اقتفت الجريدة أثر صالح بن يوسف الإيديولوجي، وانتهجت نهجه بتبنيها لأفكاره، فهي كانت تحذر من مغبة الانخداع وراء أسطورة الاستقلال الذاتي، الذي كان يروج له البورقيبيون وكانت تنبه الجزائريين من محاولة التفرقة التي كانت تروج لها بالجزائر إدارة الاحتلال من أن قبائل ميزاب هم ضد الثورة وهو ما أشار إليه صالح بن يوسف في أدى التجمعات التي عقدها بجامع الزيتونة حيث دعا إلى رص الصفوف، ومواصلة النضال، لتحقيق الاستقلال الكامل لشعوب المنطقة.⁽²³⁾

وهي كلها مواقف لم نجد لها اثر في ثانيا جريدة العمل لسان حال الحزب الدستوري الحر، مواقف لم ترقى لها الجريدة ولم تكن البتة من مشارب إيديولوجية قادتها.

- في سبيل تدويل القضية الجزائرية:

من جهتها رصدت جريدة الصباح المواقف الخارجية التي تبناها صالح بن يوسف لصالح القضية الجزائرية، فبعد توجيهه لبرقية إلى ممثل الكتلة الأفروآسيوية بهيئة الأمم المتحدة على اثر تسجيل القضية الجزائرية، عبر عن كامل تضامن الشعب التونسي مع الثورة الجزائرية في كفاحه ضد الاحتلال الفرنسي، كما سجلت الجريدة ائتمان الوفدين المغربي والجزائري المنضويين ضمن كتلة الدول الأفروآسيوية، امتنانهما على البرقية التي أرسل بها صالح بن يوسف واعتبرها مؤشر خير يرموا إلى تحقيق وحدة شعوب المنطقة بعد تحقيق الاستقلال.⁽²⁴⁾

إن هذه المواقف مقارنة بمواقف جريدة العمل هي التي أخذت تعطي للثورة الجزائرية زخما قاريا بعد أن حققت التلاحم الإقليمي مع شعوب المغرب العربي، لتتجه صوب الدول الإفريقية والأسبوية ضمن كتلة كانت تحضر لإنشاء تكتل عالمي جديد يقف في وجه الظاهرة الاستعمارية.

تكتل لن ترسم ملامحه إلا بعد أن تتعزز قوة الثورة الجزائرية في الميدان بمواجهتها جحافل جيش الاحتلال الفرنسي، وتوخز الدبلوماسية الفرنسية في المنابر العالمية.

إن هذه المواقف هي التي طرقت للثورة الجزائرية أفقا واعدة وخصبة لخرق الستار الفرنسي المضروب على الجزائر منذ 1830، ولولوج أروقة الأمم المتحدة لطرح القضية الجزائرية، لأجل ذلك فإن مواقف راديكالية كتلك التي عبر صالح بن يوسف وسجلتها جريدة الصباح كانت تثليج صدر مبعوثي جبهة التحرير الوطني بالخارج وتؤكد لهم تضامن الشعب التونسي مع الثورة الجزائرية، وهو ما عبر عنه السيد محمد خيضر ممثل جبهة التحرير الوطني بالقاهرة، الذي أشاد بالمواقف التقدمية لصالح بن يوسف سواء تجاه الثورة الجزائرية أو بخصوص المسألة التونسية وموقفه من قضية الاستقلال الذاتي التي كان بورقية يعتزم إتمامها مع الجانب الفرنسي، وهو ما سجلته جريدة العمل لسان حال الحزب الدستوري الجديد⁽²⁵⁾.

كان صالح بن يوسف مدركا لدسائس الاستعمار الفرنسي، وفي هذا السياق أدلى بحوار لجريدة لوفيقارو الفرنسية، نفى فيه الدعاية المغرضة التي كانت تروج لها سلطات الإقامة العامة بتونس ومفادها أن اتفاقية الاستقلال كانت تجري على قدم وساق بين كافة تيارات الحركة الوطنية التونسية، وأن ما يجري من أحداث هي معزولة ولا علاقة لها بما يجري من أحداث بالجزائر، بل راح يؤكد على رفض الشعب التونسي لاتفاقية الاستقلال الذاتي ويعلن تبنيه للمقاومة العسكرية وجهود التنسيق بين جيش تحرير تونس وجيش التحرير الوطني خاصة على الحدود الشرقية⁽²⁶⁾.

كان للجريدة الصباح مقارنة مع العمل (التي كانت دائمة متحفظة وتخضع لتوجهات الحزب) مواقف جد مشرفة من الثورة الجزائرية وحازمة تجاه الحكومة الفرنسية التي كانت تعتبرها دولة استعمارية تنتهك في المواثيق الدولية، كم أشادت الجريدة بمساندة التونسيين لأشقائهم الجزائريين واعتبرت هذه المساندة روح المغرب العربي الكبير، بل وشكلت الجريدة في الكثير من الأحيان لسان حال الثورة إذ لم تقتصر على نشر أخبار الثورة في أعمدها بل راحت تخصص صفحات لتتبع مسار الثورة⁽²⁷⁾.

كما كانت الجريدة تقوم بالدعاية الإعلامية والسياسية لصالح جبهة التحرير الوطني، من مثل نقلها للندوات والمؤتمرات الصحفية التي كان يعقدها قادة الثورة بتونس، كتلك التي عقدها مبعوثي الثورة من الداخل السيدين فرحات عباس ومحمد لأمين دباغين، من جهة ومبعوثي الثورة بالخارج آيت أحمد وأحمد محساس، وقد ضم هذا اللقاء أيضا الرشيد بن عبد العزيز الكاتب العام لاتحاد العام للعمال الجزائريين وعمر أو عمران وإبراهيم مزهودي ومصطفى بن عودة، وفي أثناء هذا اللقاء أشاد لامين دباغين بموقف تونس من الثورة وأعرب عن امتنانه لاحتضان الشعب التونسي للثورة الجزائرية.⁽²⁸⁾

لقد ظل خط جريد العام يتتبع في تطورت القضية الجزائرية عبر الكفاح المسلح الذي شنته وحدات جيش التحرير الوطني والنضال الذي خاضه قادة جبهة التحرير الوطني إن على المستوى المحلي أو الإقليمي لتدويل القضية الجزائرية والخروج من العزلة الاستعمارية التي فرضتها جل الحكومات الفرنسية بذريعة أن ما كان يحدث في الجزائر هو شأن داخلي.

إن المتتبع لأعداد الجريدة ومدى تغطيتها لقضايا الثورة الجزائرية، مقارنة بتغطية جريدة العمل يلحظ الفرق في تناول الحدث أي وقائع الثورة، ذلك أن جريدة العمل كانت تغطي أحداث الثورة وهو ما لا يمكن إنكاره، لكنها كانت تعبر عن موقف الدولة التونسية من قضية الثورة الجزائرية ورغبتها في فض النزاع الفرنسي الجزائري على الطريقة البورقيبية، عكس الصباح التي كانت تمثل الجناح اليوسفي، والتي ساهمت ليس فحسب في دعم القضية الجزائرية عبر ما كانت تخطه في أعمدها، بل صاغت رأيا عام تونسي شمل كل شرائحه اهتم بقضايا الثورة في إطار بعدها المغاربي لتحرير كافة بلدانه من رقة الاستعمار الحديث.

مما سبق يتضح لنا أن التضامن التونسي مع الثورة الجزائرية أعطى دعما سياسيا مهما لكفاح الشعب الجزائري، وقدم ضروبا مختلفة من الدعم والمؤازرة، وذلك بالشكل الذي جعل السياسة الفرنسية تفشل في عزل الجزائر عن عمقها التونسي، وإن ضغوط فرنسا واعتداءاتها على تونس زادت تأكيداً على ضرورة وضع حد لحرب الجزائر، وتعزيز مواقف جبهة التحرير الوطني بالدعم العسكري والسياسي الذي كان له تأثيره على تدويل القضية الجزائرية وتوسيع نشاط الثورة التحريرية، وإن كل هذه المواقف أضفت على العلاقات الجزائرية - التونسية في المرحلة المدروسة تحسنا ملحوظا خدم سياسة التضامن المشترك والأخوة المغاربية.

*الهوامش:

- 1 - رخييلة عامر، الثورة الجزائرية والمغرب العربي: المصادر، مجلة يصدرها م و د ب ح و ث 1954، الجزائر، العدد 1 (صيف 1999)، ص 142-143.
- 2- الديق فتحي: عبد الناصر وثورة الجزائر، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة 1984، ص 180.
- 3-Aleya sghaier .les tunisiens et la revolution algerienne in Methdologie de l histoire des mouvements nationaux au Maghreb le 1^{er} congre du forum d histoire contemporaine , publications F TRESI tunisie 1998 pp 123 135
- 4- المدني أحمد توفيق: حياة كفاح مذكرات، الجزء الثالث، ط 2، م وك، الجزائر، 1988، ص 152.
- 5- ارسل عبان رمضان كلا من حامد رواجية وآيت أحسن لتمثيل جبهة التحرير الوطني بما عوض عبد الحي الأوراسي لكن هذا الأخير لم يتقبل الأمر بسهولة وأدت الخلافات بينه وبين جماعة الداخل إلى تدخل السلطات التونسية التي طالبت من مسؤولي الوفد الخارجي تنحية عبد الحي فأرسل ابن بلة علي محساس كممثل لجبهة وجيش التحرير الوطني بتونس عباس محمد: رواد الوطنية، ط 1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1992، ص ص 246 - 248.
- 6- أحمد محساس علي: من الأعضاء البارزين في حزب الشعب، ساهم في تأسيس اتحادية الجبهة بفرنسا ثم انتقل إلى القاهرة سنة 1955 ليكلف بمسؤولية التسليح بليبيا ثم عين مسؤولا سياسيا وعسكريا بتونس، حيث قام بتنظيم القاعدة وتفعيل نشاطها ونظرا لمولاته لابن بلة عارض جماعة الداخل، فتمت تنحيته من قبل لجنة التنسيق والتنفيذ.
- 7- أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 154.
- 8- تقرير رئيس بعثة جبهة التحرير الوطني بتونس المؤرخ يوم 7 نوفمبر 1960 ANA GPRA la tunisie de bourguiba devant la revolution algerienne . b.302.dos 7..4
- 9- الحبيب بورقيبة: من أقوال المجاهد الأكبر الرئيس الحبيب بورقيبة، ط1، شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، تونس 1984، ص. 75.
- 10- جوان غليسي: الجزائر الثائرة، ترجمة خيرى حماد، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1961، ص. 154. وشهادة المرحوم عبد الحميد مهري، مقابلة مع الباحث، الجزائر، فيفري 2005
- 11- خطاب الرئيس الحبيب بورقيبة في مجلس الأمة التونسي يوم 19 أفريل 1956، الرائد التونسي، عدد يوم 21 أفريل 1956.
- 12- حمدان محمد: دليل الدوريات التونسية الصادر بالبلاد التونسية من 1938/ إلى 20 مارس 1956، بيت الحكمة قرطاج تونس 1989، ص: 90
- 13- العمل: ع: 13/407 فيفري 1957، ركن خاص تحت اسم صوت الجزائر ص 06.
- 14- العمل: ع: 209، جوان 1956
- 15- العمل: 06/218 جويلية 1956، بيان الديوان السياسي في ذكرى احتلال الجزائر.

-
- 16- العمل: ع: 394، 29 جانفي 1957
- 17- العمل: ع: 1049/ 06 مارس 1959.
- 18- العمل: ع: 1994/ مارس 1962.
- 19- حمدان محمد: حمدان محمد: دليل الدوريات التونسية الصادر بالبلاد التونسية نفس المرجع السابق ص 84/85
- 20- الصباح: ع: 1160: 04 أكتوبر 1955، تعليق على مشاركة التونسيين.
- 21- الصباح: ع: 1284/ 25 فيفري 1956.
- 22- الصباح: ع: 142/ 17 جويليه 1956.
- 23- الصباح: ع: 1164/ 04 أكتوبر 1955.
- 24- الصباح: ع: 1165/ 09 أكتوبر 1955.
- 25- الصباح: ع: 1169/ 14 أكتوبر 1955.
- 26- العمل: 218/ 06 جويليه 1956، بيان الديوان السياسي في ذكرى احتلال الجزائر
- 27- لوفيقارو / 03 مارس 1956
- 28- الصباح: ع: 1573، 01 فيفري 1957.
- 29- الصباح: ع: 1616/ 23 مارس 1957